

خطب منـ ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـــزء الأوّل

30. في ذكرى المولد النّبويّ



10 ربيع الأول 1380هـ الموافق 2 سبتمبر 1960م

الـحمد لله العظيمِ بمـا أبدعَ فـي ملكه، الـحكيمِ الّذي أقام هذه الأنظمةَ علـى وفق علمه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، الّذي خلق الإنسانَ وكرّمه بالعقلِ والبيانِ، وأرشده إلـى القيامِ بأعمـالِ الـخيـرِ والإحسانِ، وأشهد أنّ مـحمّدًا عبدُه ورسوله، الّذي بعثه اللهُ رحمةً للعالـمين، وأقام به العدلَ والـمساواةَ بين النّاسِ أجـمعينَ، صلواتُ الله وسلامُه عليه، وعلـى آله وأصحابه الّذين آزروه: {وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْـمُفْلِحُونَ} الأعراف: 157.

أمّا بعد: فإنّ الله -جلّ جلاله- قد أكرمكم بهذا الشّهر العظيم، الّذي أفاض عليكم فيه نورَه، وألبسكم فيه شعارَ العِزّة، وهداكم إلـى أنجع الطّرق الّتي ترتفع بكم إلـى الـمجد والكرامة، وأعزّكم فيه بنبيّه مـحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، واختاركم بهذه الـميزة علـى سواكم من الأمم، فقال جلّ ذكره: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِـمَّـا كُنْتُمْ تُـخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُـخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَـى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَـى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)} المائدة: 15، 16.

ولأجل هذه الـخاصّية الّتي لـم يَفُز بها أحد من غير الـمسلمين جعلهم يهتمّون بمولده العظيم، ويقيمون الاحتفالاتِ اللّيلية والنّهارية اعترافًا بالـجميلِ ومقامه السّامي، وعرضا أدبيًّا لـمواقف هذا الرّسول الأعظم -صلّى الله عليه وسلّم- الـحافلة بالعظمة والقوّة والـجلال، ثمّ تذكيرًا لـمجموعِ هذا الشّعب الّذي يؤمن به وينتسب لدينه بمـا كان لرسولـهم من الأعمـالِ الـجليلةِ الّتي قلبت أوضاع الطّغاة والـجبابرة رأسًا علـى عقب.

فكان عليه الصّلاة والسّلام يقوم في أثناء ذلك بجانبين: جانبٍ لنشر الدّين وبثّ الدّعوة، والجانبِ الآخر ردًّا لكيد الكافرين والمشركين، حتّى استطاع في مدّة وجيزة من الزّمن أن يُكوّن أمّة ويؤسّس دولة ويقيم دينًا، وهذه الأعمال الثّلاثة لم يستطع أن يقوم بها أيّ عظيم، لا قبله ولا بعده.

ثمّ تذكيرًا بهذا الحفل لأقواله الّتي لم تزل منهلًا عذبًا تتغذّى بها العقول والقلوب، وتراثًا عظيمًا من العلومِ والمعارفِ الّتي يرجع إليها المسلمون في كلّ مواقفهم وأعمالهم لحلّ جميع الأزماتِ والمشاكل، وتربيةً لذلك النّشْء بتلك الأحاديث الخالدةِ الّتي تُربّي أخلاقَ كلّ فرد، وتوسّعُ إدراكَه، وتفيضُ عليه نورًا وإلهامًا.

وهكذا نرى كلّ أمّة أو كلّ طائفة تَذْكُر جانبًا من تلك العظمة الّتي لا يحيط بها وصفٌ، ولا يصِلُ إلى كُنْهِها وسرِّها أعلام الأدب أو رجال القلم أو قادة البيان.